دراسة حول :

قضية كتاب « وطنيتى » للشيخ على الغاياتى .

دكتور يواقيم رزق مرقص

المشرف بمركز تاريخ مصر المعاصر

كتم الحاضرون أنفاسهم ، وزاغت أبصارهم وهى معلقة على رئيس الجلسة فى محكمة جنايات القاهرة ، وهو ينطق بحكمه يوم السبت الموافق ٦ من أغسطس عام ١٩١٠ فى القضية رقم ٦٧ سائرة الإزبكية ضد كل من المتهمين الحاضرين :

الأول : الشيخ عبد العزيز جاويش

الثانى : الشيخ محمد حسن القزوينى

الثالث : الياس أفندى دياب

عاقبت الأول بحبسه ثلاثة أشهر حبسا بسيطا ، وكل من الاثنين الآخرين بالحبس لمدة شهرين وأمرت بوقف تنفيذ العقوبة بالنسبة لكل منهما .

ثم غيابيا على الشيخ على الغاياتى (*) بالحبس لمدة سنة مع الشغل عن التهمة الأولى ، وببراءته عن تهمة التحريض على القتل .

(*) ولد فى ٢٤ اكتوبر ١٨٨٤ فى دمياط حيث تعلم القراءة والكتابة فى كتاب القرية — حفظ الكثير من الشعر لحبه فيه ثم انتقل الى جامع البحر بدمياط وكان تابعا للازهر الشريف ، لاستكمال دراسته وانتهى من دراسته فيه عام ١٩٠٦ ثم سافر الى القاهرة فى ابريل ١٩٠٧ ، ولجأ الى جريدة الجوائب المصرية التى كان قد انشأها خليل مطران ، حيث نشر اشعاره التى كان يكتبها ، ثم الحق فى يولية ١٩٠٧ بقسم التحرير فيها ، وفى ١٩٠٨ عمل مصححا فى جريدة اللواء ونشر فيها اشعاره التى جمعها فى هذا الكتاب الذى عنونه « بوطنيتى » .

على عبد الرشيد : سيرة وحياة على الغاياتى ، القاهرة ١٩٨١ ص ص ١٠٩ — ١١٩ .

وما أن انتهى النطق بالحكم الا وهاج الكثير من الحاضرين ، وفلتت أعصاب بعضهم فتفوه بألفاظ ضد هيئة المحكمة ، فكان نصيبه الحبس لمدة أربع وعشرين ساعة ، وخرج القوم فى شبه مظاهرة سياسية تسبب الاحتلال وأعوانه ، ممن كانوا سببا فى النيل من أصحاب الرأى الجرىء[1] .

كان هذا هو الشق الأول من القضية ، أما الشق الثانى فقد تأجل السير فى اجراءاته : من ضبط وتحقيق ومحاكمة الى أن يتم القبض على المتهم فيه أو تعطيله فمنه ، ذلك المتهم الذى وجد نفسه ملزما أمام مواطنيه بتسليم نفسه ، فقبض عليه وقدم للمحاكمة ، ليتم النصف الثانى من القضية الكبرى التى عرفت بقضية « وطنيتى » وينطق رئيس الجلسة فى يوم ٢٢ يناير ١٩١١ بالحكم حضوريا بحبس محمد فريد رئيس الحزب الوطنى آنئذ ستة أشهر حبسا بسيطا»[2] .

ظنت السلطة أن هذه الأحكام هى اسدال الستار على قضية شغلت الرأى العام فترة طويلة ، كما أقضت مضجع السلطة فى مصر فترة أطول ، فكانت قضية وطنيتى من أشهر القضايا السياسية فى نهاية العقد الأول من هذا القرن ، فقد شهدت فريات كثيرة ، وكشفت الكثير من الأيدى : منها ما كان سيئا حاك هذه الفريات ، ومنها ما هو حسن استهدف المصلحة العامة ، مدافعة عن الحق بالحق .

وقد دارت هذه القضية أساسا حول كتاب بعنوان «وطنيتى» لمؤلفه الشيخ على العاياتى فى شهر يونيه عام ١٩١٠ ، وكان عبارة عن علة قصائد شعرية جمعها فيه وكان قد نشرها من قبل فى الصحف منذ عام

---

(١) البلاغ المصرى ٨ اغسطس ١٩١٠ .

(٢) المؤيد ٢٣ يناير ١٩١١ .

١٩٠٧ (٣) ، ووصفها هو بأنها « مجموعة قصائد ومقاطيع في موضوعات متنوعة وأغراض سياسية مختلفة دعت اليها الحركة الوطنيـــة فى ذلك الحين »(٤) كما نشر بيانا فى صدر الطبعة الأخيرة التى بين أيدينا عـــام ١٩٤٧ لخص فيها سيرة هذا الكتاب فقال فيه « ظهرت الطبعة الأولى من وطنيتى فى الأسبوع الأخير من شهر يونية ١٩١١ ، وقد أقام هذا الديوان دنيا الاحتلال واقعدتها ، ولم يكد يصدر حتى صودر وهاجر صاحبه سرا من مصر فى ٦ يولية فحوكم غيابيا وحكم عليه فى ٦ أغسطس بالحبس سنة كما حكم على المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر ، لأنه كتب للديوان مقدمة قرظه فيها ، ولمثل هذا السبب حوكم كذلك المرحوم محمد بك فريد بعد عودته من أوربا وحكم عليه فى ٢٢ ينـــاير عام ١٩١١ بالحبس ستة أشهر ، وكان المؤلف قد يمم شطر الاســـتانة حيث أقام خمسة شهور الا قليلا ثم سافر الى سويسرا ، وبقى فى جنيف زهاء سبعة وعشرين عاما ، أسس فى خلالها أسرته سنة ١٩١٢ وجريدة « منبر الشرق » أو «La Tribune d'Orient» سنة ١٩٢٢(٥) .

(٣) يضم الكتاب ٣٦ قصيدة منها ما هو وطنى ومنها ما كان غزلا ، منها ما كان حزبيا حول مصطفى كامل والحزب الوطنى ثم محمد فريد ، شـــايع الدولة العثمانية فى بعضها « الدستور العثمانى » وكان فى بعضها غمـــز للخديو « وطنى يتاجى ربه » « على لسان الأمير » ومنها مكان فيه الكر والكم للمؤيد كقصيدة الدستور وهى التى اثارت عليه الشيخ على يوســـف وكانت موضوع بلاغه للبوليس التى قامت عليها القضية موضوع هذه الدراسة ومنها ما كان فيه اضواء كثيرة على بعض الشخصيات والحركات السياسية كقصة اغتيال بطرس غالى « الحاقد للغطير » « ودنجوا » ، وقد نشرت من قبـــل فى الصحف فى تلك الفترة كاللواء والعلم ومنها ما القى فى محافل عامة .

(٤) وهى منشورة فى كتاب « وطنيتى » طبعة ١٩٤٧ .

(٥) صدر العدد الأول منها فى جنيف يوم الأحد الموافق ٥ مارس ١٩٥٢ وظلت تصدر حوالى ستة عشر عاما ، وكانت تضم فى أول عهدها ـ بجانب القسم الفرنسى ـ صفحة عربية « كثيرة المتاعب كثيرة النفقات » فرأى الغاياتى أن يستغنى عنها ، واكتفى باصدارها باللغة الفرنسية ، وصدر آخر عدد منها فى يوم الاربعاء ٢٦ مايو ١٩٣٧ .

وعاوده الحنين والرجاء فعاد الى وطنه المحبوب فى ٢٨ يونية عام ١٩٣٧ ، وأعاد وطبع « وطنيتى » فى ١١ فبراير عام ١٩٣٨ تحت سمع الحكومة وبصرها ، بعد أن سقط الحكم وتبدلت الأحوال .

وجاءت الحرب الماضية واستمرت نحو أربع سنوات لم يتخذ فيها أى اجراء ضد هذا الكتاب الذى يعتبر بحق سجلا تاريخيا للحركة الوطنية فى فترة قصيرة من الزمان الحالى ، ولكن الحليفة الماكرة الغادرة شعرت فجأة بأن فى نشره ورحى الحرب دائرة دعاية سيئة لها ، فما كان من القلم السياسى المصرى الا أن أوفد بعض ضباطه فى صباح السبت ١٧ يونية ١٩٤٣ الى المؤلف للبحث عن وطنيتى عنده فلم يجدوها لديه ، وأخذوا تعهدا كتابيا عليه بالا يطبعها أو يوزعها ما دامت الحرب قائمة وبذلك تكون « وطنيتى » قد طبعت مرتين وصودرت أيضا مرتين!!

وها هى ذى الطبعة الثالثة أراد الله أن تظهر والبلاد من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال تطالب بالوحدة والجلاء ، ومن حسن الاتفاق أن يكون ظهورها كظهور الطبعة الثانية فى أيام ذكرى وفاة المغفور له مصطفى كامل باشا ، الذى فاض الديوان بآيات ذكره العطر المجيد .

أما الجزء الثانى من وطنيتى وهو « هجرتى » فلا يزال الأمل كبير فى جمعه وطبعه قريبا باذن الله .. انه نعم المولى ونعم النصير ..

وقد نشر فى الصفحة المقابلة صورة لمصطفى كامل تشيعا لحزبه واعترافا بفضله لأنه كان أحد تلامذته فى اللواء ، حتى أنه وقع اسمه فى نهاية مقدمة الكتاب تحت عبارة « أحد جنود الحزب الوطنى » .

= بينما صدرت فى مصر فى أول عدد لها يوم ٦ مايو ١٩٣٨ بنفس الاسم وشعارها « الشرق الشرقيين » (جريدة مصرية مستقلة) ـ التى نشئت فى جنيف عام ١٩٢٢ للدفاع عن حقوق الشرق الناهض باسم الكتابة واسم شعوب ناهضة لا باسم أحزاب ولا زعماء .

كل يزول وينقضى أما الحمى ... مودعة الآباء للابنـــاء

على الغاياتى

وهذا يدعونا الى عرض مقدمات الكتاب ، والتى كانت ضمن موضوعات اتهام كاتبيها ، فقد بدأت مقدمة محمد فريد وكانت بعنوان « تأثير الشعر فى تربية الأمم » « .. الشعر من أفعل المؤثرات فى ايقاظ الامم من سباتها وبث روح الحياة فيها ، كما أنه من المشجعات على القتال ، وبث حب الاقدام والمخاطرة بالنفس فى الحروب ، ولذلك نجد الأشعار الحماسية من قديم الزمان شائعة لدى العرب وغيرهم من الأمم المجيدة كالرومان واليونان وغيرهما .

وليس من ينكر أن الأنشودة الفرنسية التى أنشأها الضابط الفرنسى « روجيه دى ليل » وسميت المرسيليز كانت من أقوى أسباب انتصار فرنسا على ملوك أوربا الذين تألبوا لاخماد روح الحرية فى مبدأ ظهورها ... لقد كان من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب أو الشرق اماتة الشعر الحماسى ، وحمل الشعراء بالعطايا والمنح على وضع قصائد المدح البارد والاطراء الفارغ فى الملوك والامراء والوزراء ، وابتعادهم عن كل ما يربى النفوس ويغرس فيها حب الوطنية والاستقلال ..

تنبهت الامم المغلوبة على أمرها فجعلت من أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية باللغة الفصحى للمتعلمين وباللغة العامة لطبقات الزراع والصناع .. فكان ذلك من أكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات .. وقد لاحت « وطنيتى » فى طليعة هذه النهضة الميمونة الرشيدة ..

فعلى حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح فى أيام معلومة وأن يستعملوا هذه الموهبة فى خدمة الامة .. »

أما كلمة الشيخ عبد العزيز جاويش فكانت بعنوان « الشعر والشاعر » تناول فيها أحاسيس الشعراء ، وقسم الشعر الى مصنوع ومطبوع ، وما الشعر الا مرآة يرى فيها آثار الانفعالات النفسية التى

تعبر عن نفس واضعها ، وانتهى فى كلمته القصيرة الى قوله « .. ومن شاء أن يرى نموذجا من الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعـانى وألف بين احكام التآليف وصدق العبارة فليقرأ شيئا من وطنيتى ، ومن شاء فليسأل عن آثارها تلك الهمم الناهضة ، والنفوس المتوقدة والعزائم الصادقة ، فانها من غراسها وجميل ثمارها » ..

أما مقدمة المؤلف نفسه فهى طويلة ، تناول فيها الشعر والشعراء ، وشعراء مصر بالذات ، وما حولهم من خطوب ، وعاب عليهم اقتتالهم على الشهرة ، تاركين الاقتتال من أجل مصر ، ثم يقرر أن ما ضمه الكتاب هو مجموعة ما نشره من عام ١٩٠٨ الى أوائل ١٩١٠ متتبعا سير الحـركة الوطنية ونشر معظمه فى اللواء والعلم ، ثم ذيل هذا الحديث الطـويل بتاريخ نشيد المرسيليز وظروف ظهوره ونشره هو نفسه بالفرنسـية والعربية ، بالاضـافة الى الأنشودتين الفرنسـيتين الوطنيتين ، الأولى « فرنسـا » La France والثانية « الوطن » La Patrie باللغتين الفرنسية والعربية كذلك .

ظروف تجريم الكتاب :

ان ما تضمنه الكتاب لم يكن يحتمل كل هذه الضجة والمحاكمات ، سيما وأنه كان قد نشر من قبل فى اللواء والعلم ، ووقع نظر العـدو والصديق عليه ، ولم يتحرك أى من رجال السلطة باجراء من شأنه منـع نشره أو مساءلة الصحف التى نشرته فى حينه ، ولكن هناك أسـبابا وراء تجريم الكتاب فى عام ١٩١٠ :

أولا : سوء العلاقات بين السلطة والشيخ عبد العزيز جاويش ، ومحاولة الايقاع به والزج به أكثر من مرة فى مجال المحاكمات ، يحكم عليه فى واحدة ويبرأ فى البقية ، وكان افلاته من قضية الوردانى وتبرئته فى قضية « نشر الأخبار الكاذبة » واهانة نظارة الحربية عام ١٩٠٨ بمثابة لطمة لسلطات الاحتلال ، وألحت حاجة السلطة الى مجابهة الصـحافة

الوطنية مما ظهر من ثورة جورست فى تقريره لعام ١٩٠٨ عن « ان أفضل وسيلة لمواجهة هذه الصعوبات هو تطبيق قانون المطبوعات »[٦] .

ثانيا : انشغال جورست فترة الوزير الصاوى مع القصر والتى عرفت بسياسة الوفاق ، مما أدى الى اتفاق السلطة الشرعية (الخديو) مع السلطة الفعلية (الاحتلال) لاتفاق مصالح كل منهما مع الأخرى ، وانتهى الى كبت حرية الصحافة انذاك ، فاعيد العمل بقانون الصحافة فى مارس ١٩٠٩ بهدف ضرب الحركة الوطنية فى صحفها[٧] .

ثالثا : العداء القديم بين الحزب الوطنى وصحفه وبين الاحتلال ، منذ مقالات مصطفى كامل الى مقالات الشيخ جاويش ، وكشف وجه الاستعمار البريطانى فى كل مكان ، كمقالته عن سياسة السلطة البريطانية التعسفية فى السودان فى حادث الكاملين[٨] .

ويشير أحمد شفيق فى مذكراته ، أن البرلمان الانجليزى أوصى وزير الخارجية الانجليزية بعدم التضييق على حرية الصحافة فى مصر ، ولكن حدث أن أضطرت الحكومة الى الخروج عن هذا التحفظ :

أولا : لأن جريدة اللواء نشرت فصولا طويلة مدحت فيها دنجورا الهندى قاتل اللورد كيرزون فى انجلترا واعتبرت عمله عملا طيبا خالدا ودعت الشبان الى التشبه به فى وطنيته ، فانتهزتها فرصة لضرب الحركة الوطنية التى كان اللواء ومحرروه هم قادتها المتطرفون .

ثانيا : لأن الشيخ جاويش نشر فى جريدة اللواء مقالا شديد اللهجة ، طعن فيه فى حق بطرس غالى باشا وفتحى زغلول باشا ومحمد يوسف بك[٩] ، أما جريدة اللواء فقد تقرر انذارها بعد أخذ ورد بين مصر ولندن ،

---

(6) Annual Repart, 1908, p. 5.

(٧) ونان لبب : أثر قانون المطبوعات فى الحركة الوطنية المصرية قبل الحرب العالمية الأولى ، المجلة التاريخية ١٩٦٦ ، ص ٢٦٢ .

(٨) اللواء ٢٨ مايو ١٩٠٨ مقالة بعنوان « دنشواى أخرى فى السودان » .

(٩) اللواء ٢٨ يونية ١٩٠٩ مقالة بعنوان ذكرى دنشواى .

حتى أن بطرس غالى لوح بالاستقالة اذا لم تنفذ هذه الجريدة[١٠] .

وقد تناول البان دى روجا فى صحيفته La Depêche الرد على افتراء الاحتلال على الشيخ جاويش واتهامه بالتعصب فقال «لن وضع اسم الشيخ جاويش بجانب الغـــاياتى لمن أبدع الطرق السياسية فى تصوير التعصب الدينى تأثرا ضد الأجانب . الا أن الشيخ جاويش رجل ذاع صيته حتى أصبح فى كل حادثة يصوره الوهم كأنه صورة خوافية مزعجة »[١١] .

رابعا : اختلاف علاقة الخديو بزعامة الحزب الوطنى الجديدة عنها أيام مصطفى كامل ، فقد أدت سياسة الوفاق بين الخديو والمعتمد البريطانى الى وضع الحزب الوطنى فى موقف اختبار صعب اذ قد تأثر عدد من أعضائه الذين انضموا اليه سعيا وراء مركز أو لقب كنتيجة لرضاء الخديو عنهم فأصبح اختيار الحزب بين أن يظل على ولائه للخديو متخليا عن ولائه للقضية الوطنية وأما العكس فيعادى السلطة الشرعية تمسكا بالقضية الوطنية ، وكان الأخير هو موضع الاختيار فقد الحزب مساندة الخديو نهائيا وكسب عداءه ، كما حدثت عدة اهتزازات داخل الحـــزب نفسه وبدأت انشقاقات أصحاب المصالح والمعتدلين الذين وجدوا أن مصلحتهم فى يد الخديوى[١٢] مما دفع الخديو أيضا الى الحقد عـــلى الحزب الوطنى واللواء معا ، فيروى أحمد شفيق كيف كان الخديو يكظم غيظـــه من أعمال اللـــواء والحزب الوطـــنى فى تطرفهما فى وصـــفه « بالخيانة »[١٣] ، مما يشير الى فقدان الحزب والصحيفة كل عون منه .

---

(١٠) صبرى ابو المجد : حمد فريد ، ذكريات ومذكرات ، الهلال (اكتوبر ١٩٦٩ ، ص ٩٨ .

(11) La Depêche, Jullist 16—1910

(١٢) يونان لبيب : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

(١٣) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٦٩ .

خامسنا الشيخ على يوسف وحقده على الحزب والصحيفة ، فقد اتضح أنه هو صاحب اليد الطولى فى هذه القضية ، بل كان هو المبتدع عنها ، وهو الذى اعطاها الشكل المثير ، ومن ثم كانت نقطة البداية ، فقد قال فى « المؤيد » « زارنا منذ يومين حضرة الشيخ على الغاياتى المحرر بجريدة العلم ، وقدم لنا نسخة من كتاب شعرى وضعه حديثا بعنوان « وطنيتى » ، وقال أقدمه اليك ، وأن يكن بلهجة حزب لا ترضيك لهجته » ، فقابلته بحسن القبول ، وعزمت على أن أقرظه كما يستحق أديب مثله يحسن الشعر ، ويعمل — كما يعتقد — لاحياء الشعور الوطنى ، ففتحت الكتاب فوقع نظرى على قوله :

يا ليت شعرى هل رأيت كما أرى ... ان « المؤيد » معهد الهفـــوات

فنشـــرت فيه ما نشـــرت وانما ... هى زلـــة من أكبـــر الزلات[١٤]

فاستوقفنى هذا السباب الى المؤيد هنيهة ، وقلت لعل حضرة الشيخ الغاياتى أراد أن يوجه لى هذا الكلام مشافهة ..

فبعد الاستئذان من قانون المطبوعات ، وبعد الاستعاذة من القوانين الجديدة ، وبعد الاعلان فانه لا اتفاق بين المؤيد وبين الشيخ على الغاياتى ، قال حفظه الله تحت عوان « وطنى يناجى ربه » :

رب ان البـــلاد أرهقها الظـــلا ... م وحاقت بأهلهـــا البأســـاء

رب ان الصـــدور أحوجها الوجـ ... ـد وأودت بحلمهـــا الأرزاء

فتـــدارك بلطفـــك النيـــل حتى ... لا تجارى حياة مصـــر دماء[١٥]

---

(١٤) هذه الأبيات ضمن قصيدة فى الكتاب بعنوان (الدستور وحديث شاعر الأمير) وهو حديث لجراه مندوب المؤيد مع الشاعر أحمد شوقى انتهى فيه الى تصريحه بأن الخديو لا يستطيع منح دستور دون موافقة الاحتلال فنشر الغاياتى هذه الأبيات فى جريدة الدستور فى ٢٣ سبتمبر ١٩٠٨ وقراها بطبيعة الحال الشيخ على يوسف ولكنه اختار لها هذا التوقيت للابلاغ عنها .

(١٥) المؤيد ٤ يولية ١٩١٩ ، وطنيتى .

وهكذا فجر الشيخ على يوسف قضية كبيرة بهذا البلاغ ، وظل يزكيها بقلمه وحيله الى أن انتهت بما كان يرمى اليه وهو سجن الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد فريد .

سير الأحداث بعد البلاغ :

استجابت النيابة العامة لبلاغه ، وبدأت تحقيقها يوم ١٢ يولية ١٩١٠ مع الشيخ جاويش ولسماعيل افندى حافظ المسئول عن جريدة « العلم » ، على أساس أن الأول كتب المقدمة — التى عرضنا بعضا منها — تقريظا لعمل الغاياتى ومدحا لاتجاهاته ، وانتهت بأنه يسعى بهذا العمل الى التحريض على القتل السياسى والعيب فى الذات الخديوية[١٦] ، كما كان ضمن الاتهامات ما نشره فى كتابه تحريضا للشعب

---

(١٦) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ص ٢٣٩ ، خاصة وانه قد استنفر الراى العام ضد الخديوى فكتب يقول :

أعباس هذا اخر العهد بيننا ... فلا تخش منا بعد ذاك عتابا
أيرضيك فينا أن نكون اذلة ... ننال اذا رمنا الحياة عقابا
ارضيت اعداء البلاد واهلها ... واصليتنا بعد (الوفاق) عذابا
رويدك يا عباس لا تبلغ المدى ... ولا تستمع للظالمين خطابا
فما يبتغى غورست الا مكيدة ... تحول اقلام السلام حرابا
وها قد رمى حرية القول رمية ... بسهمك تجنى البلاد خرابا
الا أمطر الله الوزارة نقمة ... ولا بلغت مما تروم مرامها
تحاول أن تقضى علينا باثمها ... ولكن سنلقى دون ذاك اثامها
وزارة خداع أقامته بيننا ... يد الحاكمين الآثمين فقاما
وبين يديه عصبة بطرسية ... تصوب نحو المصلحين سهاما
جنى ما جنى فى دنشواى وغيرها ... ولم يكفه حتى استحل حراما
فقيد أقلام الصحافة علها ... اذا ابصرت سودانه تتسامى

الى آخر القصيدة ، وقد نشرت فى اللواء يوم ٢٧ مارس ١٩٠٩ .

على القيام بالثورة[١٧] .

الا أن التحقيق مر بمراحل عربية ، كسفر الغاياتى وهو المتهم الأول فرارا من القضية وما يترتب عليها من أحكام ، ثم اجراءات محاكمة الشيخ عبد العزيز جاويش ، وموقف الأعداء والأصدقاء منه ، وتأجيل اجراءات التحقيق ، ومحاكمة المتهم الغائب فى أوربا ، وهو محمد فريد ، وفى سرد هذه الوقائع ، كما تظهر النية فى ضرب الحركة الوطنية فى أشخاصهم .

هروب الشيخ على الغاياتى :

فعندما أحس الشيخ على الغـاياتى بتحرك البوليس للقبض عليـه عزم على ترك مصر كلها ، وفكر فى الهروب الى الاستانة ، حيث لا تصل اليه أيدى أعدائه ، ولما كان ماله يقصر دون وصوله الى هدفه لجأ الى الاقتراض من بعض أصدقائه الذين تكتموا سره ، وتحرك ليلا على أنه فى طريقه الى بلده دمياط ، فى حين سافر الى الاسكندرية متخفيا فى زى افرنجى بعد أن خلع العمامة (والكاكولة) وحملته الباخرة « الخديوية » الى الاستانة[١٨] ، وتمكن بذلك من اضافة غيظ اخر للسلطة فى مصر ، نفست عنه فى حكمها على الباقين .

---

(١٧) نشر الغاياتى هذه القصيدة بعد الحكم على الشيخ جاويش فى ٢٥ أغسطس ١٩٠٩ بالغراة فقال :

هـل سـال فى مصـر الدم ... أم ثـار فيهـا المسـتلم
ودعا دعـاء محمـد ... داع فهـب النـوم
ومضـوا الى أهـل الضـلا ... ل فاعدمـوا من أعدمـوا
واسـتفتحوا باب الجحـيم ... لـه ولـم يترحمـوا

الى آخر القصيدة التى بلغت أربعين بيتا وزادت أربعة .

وقد قام البوليس السرى بمهاجمة دار صحيفة العلم — لسان حال الحزب الوطنى ، وجمع نسخ الكتاب وصدر قرار بتحريم بيعه أو تداوله ، البلاغ المصرى ٢٧ يولية ١٩١٠ .

(١٨) البلاغ المصرى ٢٦ يولية ١٩١٠ (طريقة سفر الغاياتى للاستانة).

وما أن أحس الشيخ على يوسف بهروبه الا وقام ينتفر القوى ضد الباقين ، وبدأوا بالتعليق على هذا الهروب ، فقال أحدهم نكتة : ليت الشيخ الغاياتي ينظم لنا قصيدة في واقعة هربه حتى يكون قد أكمل كل مميزات وطنيته[١٩] .

كما شاركت المقطم في التنديد بهروب الغاياتي والتقليل من همته ، باعتباره أحد رجال الحزب الوطني ، فنشرت على لسان مندوبها في الاستانة والذي تقابل معه هناك ، واستفسر منه عن طريقة هروبه ، وتبادل المؤيد صيغ التهكم على هذا العمل[٢٠] .

ولما وصلت هذه الأخبار الى الشيخ الغاياتي رد بمقال في البلاغ المصري يكذب ما نشره المقطم عن أسباب فراره وأسلوبه في ذلك ، وأضاف أن المال الذي استعان به كان من رواج كتاب « وطنيتي » وبيعه ١٩٠٠ نسخة « لكبراء الامة وخيرة أبنائها وهو المقدار الذي وزعته بيدي قبل مبارحة القاهرة ، وحسبي ألف نسخة من هذا العدد لاعداد معدات السفر ونفقات الاقامة » وانتهى الى أن « تلك الاقلام التي لا تخط غير الافك والبهتان حتى احطمها تحطيما »[٢١] .

وتمر الأيام ، وبعد ثمان وعشرين سنة يدلل محمد لطفي جمعة على كلام الغاياتي في هذا بأنه وصله بالبريد عام ١٩١٠ مائة نسخة من كتاب « وطنيتي » لتوزيعها على الطلاب في فرنسا أيام أن كان طالبا في قرية شار بونيير من ضواحي ليون[٢٢] .

الا أن المؤيد يعود فيقص هذه الواقعة بصورة أدخل فيها محمد فريد رئيس الحزب الوطني ، وعلى لسان الغاياتي نفسه فقال « جاءتنا

---

(١٩) المؤيد ١٣ يولية ١٩١٠ « تهمة الغاياتي وغيره » .
(٢٠) المقطم ٢٥ يولية ١٩٠ ، الغاياتي في الاستانة « والمؤيد ٢٦ يولية ١٩١٠ « الغاياتي في الاستانة » .
(٢١) البلاغ المصري ٩ اغسطس ١٩١٠ .
(٢٢) منبر الشرق ، العدد الال ٦ مايو ١٩٣٨ « من ذكريات الماضي » .

رسالة مطولة بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٠ تضمنت تاريخ الرجل مع الحزب الوطنى ، وكيف ألف كتاب « وطنيتى » وطبعه بمصاريف فريد بك رئيس الحزب الوطنى وكيف كانوا يصححونه ، ويزيدون فى جمله الحماسية ، وكيف حملوه على الهرب من مصر »[٢٣] .

الا أن الشك يتطرق الى هذا الاتهام الجديد لمحمد فريد ، على أساس :

أولا : ان تاريخ الرسالة (١٣ أغسطس ١٩١٠) هو نفس تاريخ المقالة التى نشرها الغاياتى فى المقطم ، حليف المؤيد فى هذا المقام ، ضد الحزب الوطنى ، والذى يتبرأ فيها من الأسباب التى ادعاها مندوب المقطم انتحالا وليس صحيحا .

ثانيا : ان الشيخ على يوسف بعد أن سرد هذا الحديث قال : « ولكننا لم ننشر هذا الخطاب الطويل لعدم ثقتنا بخط الكاتب ، ولا يبعد أن يكون على الغاياتى استملاه استملاء لآخر وضمنه الحقائق التى يعرفها عن الحزب الوطنى ليوقعه فى ارتباك » ، وانهى حديثه أنه « على استعداد أن يعرضه على أعضاء الحزب الوطنى ليعرفوا كيف قلب لهم الغاياتى ظهر المجن ، أو هو أراد أن يلعب بهم على حساب المؤيد لعبة جديدة »[٢٤] .

أثر موقف الشيخ على يوسف :

واضح هنا نية الشيخ على يوسف لتوسيع شقة الخلاف بين الغاياتى والحزب الوطنى من جهة وبين محمد فريد والسلطة من جهة أخرى ، مستغلا الشك الذى بدأ يتطرق لبعض أعضاء الحزب وبعض الصحف المسايرة له ، نتيجة كثرة طرقه هذا الموضوع ، فقد شك البلاغ المصرى فى موقف الغاياتى ، وبدأ يقلل من قدره على أساس أنه لم يكن « من

---

(٢٣) المؤيد ١١ أغسطس ١٩١٠ .
(٢٤) المرجع نفسه .

أساطين الحزب منتميا اليه انتماء يبغى من ورائه الشهرة الزائفة والصيت الطائر دون أن يكون عضوا فيه » وأضاف البلاغ تقييم عمله بقوله « اننا نعتقد أن الرجل بما عمل ، اما أن يكون ذلك الصديق الجاهل الذى يضر من حيث يريد النفع واما أن يكون عدوا لابسا ثوب الأصدقاء ، ذلك هو اعتقادنا فيه ، وللقراء أن يحكموا عليه بما شاءوا »(٥٢) .

ثم ما لبث الدبيش أن عاد ليعلق على هذه الفتنة ويحللها ليصل الى رأى جديد وهو أن الشيخ على يوسف هو الذى اتفق مع الشيخ على الغاياتى على أن يطلب من كل من محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش أن يكتبا مقدمتيهما ، وهما يجهلان ما تضمه الأوراق ، ليوقع بهما فى هذه القضية ، ووصفا الاثنين بالجاسوسية والدناءة .

« ان قضية الغاياتى هى قضية الشيخ على يوسف هى قضية جاسوسية ودناءة ... من ذا الذى أوحى الى الشيخ على الغاياتى أن يسأل محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز جاويش مقدمة لديوانه الذى كان مضمونه مجهولا ، هو عقرب المؤيد ، ومن ذا الذى توسط للغاياتى فى أمر هذه المقدمة ، هو عقرب المؤيد ، ومن الذى أسرع بعد طبع المقدمة الى الوشاية بصاحبها وابلاغ أمرها الى الاحتلال ، هو عقرب المؤيد »(٢٦) .

وقد كان هذا الاتهام الجديد للشيخ الغاياتى محركا له ، فكتب يدفعه عن نفسه بأن أرسل خطابا الى البلاغ المصرى يقول فيه « لعمرى لو كان لأحد من دون الله علم بما يختلج الصدور ويستتر فى الضمائر ، لكان لهما العلم بما أسررت وأخمرت ، وهما اللذان لهما فى فؤادى الحب الكين والمنزل الذى لا يتول .. ماذا جنيا وقد جنتهما راجيا أن ينفحانى بكلمات من كلماتهم الحكيمة فى الشعر وتأثيره فى تربية الامم ، قائلا

---

(٢٥) البلاغ المصرى ١٩ يولية ١٩١٠ (الشيخ الغاياتى) .

(26) La Depêche, Juillet 21. 1910.

عن حسن نيته لهما ، انى سأجمع ما نظمته فى الحوادث الوطنية فى كتاب اسميته « وطنيتى » ، وقد شئت أن يكون لكتابى ميزة بقولكما وخطكما .. على أن حضرة محمد بك فريد اعطانى كلمة سودة وسافر الى أوربا ، وهو لأن لم ير كتابى ، وان حضرة الشيخ عبد العزيز جاويش ما قرأ منه صفحة لانصرافه الى خدمة الأمة »[٢٧] .

وهكذا تظهر نية المعارضة المتمثلة فى المؤيد والمقطم فى ضرب الحزب من داخله كما ضربوه من الخارج ، فوقيعته بين الشيخ الغاياتى وبين الشيخ جاويش ومحمد فريد وصلت الى أن البعض صدقها واهتز ايمان الأعضاء بعضهم لبعض ، فيظهرون بوجه قبيح أمام مصر كلها وتكون لطمة للحركة الوطنية بجانب القضية الأصلية التى تمثل ضربة لعمل وطنى كبير فى ذلك الوقت .

ونأتى الى مرحلة تحد أخرى من الشيخ على يوسف للشيخ عبد العزيز جاويش ، فعندما استجوبت النيابة العامة الشيخ جاويش حول مدى مسئوليته عن اللواء عندما كان الغاياتى ينشر فيه قصائده أجاب بأنه فى تلك الفترة لم يكن هو المسئول عن الصحيفة بل كان المسئول عنها هو الدكتور منصور فمهى رفعت[٢٨] .

وما أن علم الشيخ على يوسف بهذه الاجابة حتى استنكرها ، وكتب ساخرا من صاحبها « انه ليس هناك شجاعة ولا اقدام ، وانما هو فرار من وجه القانون ، وانهزام أمام الكوارث وجزع فى مواقف الشدة .. وبالجملة هو ما وصف المؤيد به وطنيتهم فى عدد مضى بأنه الوطنية الفرارة »[٢٩] .

---

(٢٧) البلاغ المصرى ٢٧ يولية ١٩١٠ (هجرة الغاياتى) .

(٢٨) البلاغ المصرى ١٩ يولية ١٩١٠ (الشيخ جاويش وقضية وطنيتى) .

(٢٩) المؤيد ٣١ يولية ١٩١٠ « الوطنية الفرارة » .

أما المقطم فقد قال « ان الشـــيخ باجوبته هذه أمام النيابة قد فقد احترام المقطم »[٣٠] •

يتضح من هذا مدى تحامل المعارضة على الحزب ، وفرحهم بالايقاع به فى دائرة الاتهام وشماتتهم فى اقطابه مما دفع البلاغ المصرى الى الدفاع عنهم ، فقال عن الشيخ جاويش « ان القول بأنه فقد منزلتـــه الأدبية عندهم ، فنحن نعلم منزلة أولئك الذين سقط » •

وكأنى بلسان حاله يقول :

اذا رضيت على كرام عشـــيرتى فلا زال غضبانا على لئامها[٣١]

وكان البلاغ هو أكثر الصحف الموالية للحزب الوطـــنى جرأة فى الرد ، لأن المسئول عنه كان البان دى روجا الفرنسى الجنسية والذى حمته جنسيته من الوقوع بين براثن قانون المطبوعات ، فكان هو الصوت الصارخ فى وجه الظلم الذى حاق بمتهمى هذه القضية •

وهكذا تظهر خيوط التآمر بين أداة القصر وهو المؤيد وأداة الاحتلال وهو المقطم ضد الحزب الوطنى منتهزة ظهور هذا الكتاب ، وما واكب ظهوره من أحداث •

ســـير المحاكمة :

التحقيق فى قرار الاتهام الذى أعلن به المتهمون الموجودون والغاياتى وعلى أية حال فقد استمرت النيابة فى تحقيقها حتـــى تبلور ذلك الغائب •

أما فريد فلأنه كان غائبا خارج البلاد ، ولظـــروف مركزه كرئيس للحزب الوطنى ، بل النية المبيتة للتشهير به ، فاعلنوه مرجئين محاكمته

---

(٣٠) المقطم ١٩ يولية ١٩١٠ •
(٣١) البلاغ المصرى ٢٠ يولة ١٩١٠ •

ريثما يعود[٣٢] ، وكان فى هذا احراج له اذا ما تخلف أو ظل فى الخارج فيترجم الموقف بخوفه من المحاكمة .

أما قرار الاتهام فكان ضد كل من :

١ ــ الشيخ على الغاياتى ــ المصحح بجريدة العلم ، الغير معلوم له محل اقامة بالقطر المصرى .

٢ ــ الشيخ عبد العزيز جاويش ــ المحرر بجريدة العلم والمقيم بالعباسية بمصر بجهة ميدان الحربية .

٣ ــ الشيخ محمد حسن القزوينى ــ الموظف بقلم تحرير العلم ومقيم بشارع الموسكى .

٤ ــ الياس أفندى دياب ــ صاحب مكتبة التأليف وساكن بالفجالة .

وكان الاتهام الموجه الى المتهم الأول « على الغاياتى » هو وضعه ونشره كتابا يسمى « وطنيتى » ويشتمل على قصائد ومنظومات ، يتضمن بعضها التحريض مباشرة على جناية القتل ، وبعضها التحريض على كراهية الحكومة والازدراء بها ، وبعضها تحسين الجريمة التى كان قد ارتكبها الشيخ عبد العزيز جاويش وحكم عليه من أجلها فى العام الماضى وغيرها ، وبعضها العيب فى حق ولى الأمر ، وبعضها اهانة ناظر الحقانية بصفته موظفا عموميا ، وبعضها اهانة هيئة الوزارة والحاكم .

وقد طبع هذا الكتاب ونشر بمصر وضبط فى يومى ٦ ، ١١ يولية ١٩١٠ .

أما المتهم الثانى « الشيخ عبد العزيز جاويش » وضعه مقدمة للكتاب المذكور تتضمن تمجيده وتحسينه والحض على قراءته ، وبذلك يكون مسئولا عن الجرائم المبينة آنفا (أما بصفته فاعلا أصليا) مع الشيخ

---

(٣٢) المقطم ٢٥ يولية ١٩١٠ .

على الغاياتي لاتيانه عملا من الأعمال المكونة لهذا الكتاب ، وهى المقدمة المذكورة التى طبعت ونشرت ، وذلك طبقا لقانون العقوبات (واما بصفته شريكا فيها) وذلك بمساعدة الفاعل مع علمه بالجريمة على ترويج ونشر هذا الكتاب بوضعه هذه المقدمة له أو عن جريمة تحسين وتمجيد وضع هذا الكتاب ونشره .

المتهمان الثالث والرابع : بقتضى المواد المذكورة آنفا بانهما نشرا الكتاب المذكور بأن باع الأول منه عدة نسخ للثانى يقصد بيعها وهذا عدها للبيع وباع منها لاشخاص آخرين ، وذلك بعد العلم بضبطه بمعرفة الحكومة ، منعا لانتشاره ، وبذلك يكونان مسئولين عن الجرائم المتقدم ذكرها بصفتهما فاعلين أو شريكين[٣٣] .

وكان الدفاع عن الشيخ عبد العزيز جاويش من الاستاذ محمد بك على المحامى بأسيوط وأحمد بك لطفى المحامى بالقاهرة .

أما المتهمان محمد حسن القزوينى والياس أفندى دياب فقد وكلا عنهما الاستاذ محمد بك أبو شادى المحامى[٣٤] .

وقد أشار الاتهام الى القصائد التى حملت المعانى التى يجرمها القانون .

وكان المؤمل أنه اذا ما وصلت الأمور الى أعتاب القضاء تسكت الألسن فى انتظار حكمه ، ولكن المعارضة ظلت تزكى النار من حول المتهمين وتناحرت الصحف فيما بينها ، ولعل المقطم والمؤيد كانا يريدان نصب شراك لايقاع أكبر عدد من رجال الحزب الوطنى وكتابه ! أو كانا يبغيان بما كانا ينشرانه زيادة الضرب على الحركة الوطنية ؟! أم كانا

---

(٣٣) ورد نص اعلان المتهمين بالاتهامات الموجهة اليهم وحضور جلسة المحاكمة فى البلاغ المصرى ٢٧ يولية ١٩١٠ .

(٣٤) البلاغ المصرى ٢٨ يولية ١٩١٠ .

يهدفان الى ارضاء الاحتلال ، فالمقطم بوقه ، والمؤيد صوت الخديو الذى توافق وتآلف مع الاحتلال منذ سنوات ؟ !

تلك فروض وان كانت مؤشرات ترقى الى مرتبة الحقيقة ..

ففى هذه الفترة الحرجة من سير القضية جعلت كل من الصحيفتين تنشران المقالات المثيرة فنشرت المقطم بعنوان « المتاجرة الوطنية » مقالا كله تهجم وتهكم « اعترف الشيخ على الغاياتي فيما قاله لمندوبنا بالاسنانة انه طبع من ديوانه ألفى نسخة وباع منها ١٦٠٠ نسخة قبلما غادر هذا القطر — تجارة رابحة وأيم الحق — يطبع الواحد منا كتابا من أنفع الكتب ويكتفى بألف نسخة فتأكل نصفها الجرذان قبلما يبيع النصف الآخر ، وهذا الغاياتى باع من ديوانه ١٦٠٠ نسخة قبلما جف الحبر على الورق ، ولما أراد التوسع فى نفقات السفر أعطى ما أراد ، فلبس وتقمش ، وقصد دار السعادة وهو واثق ان نفقاته تصل اليه أينما حل ، فهل فى العالم تجارة أربح من تجـــارة الوطنية — الغاياتى ومن سبقه ومن سيلحقه من الكتاب والخطباء الذين تاجروا هذه التجارة الرابحة ، فكسبوا بها أحياء وأمواتا سعوا الى مصالحهم فنالوها ورأوا فيها مغنما فغنموه »[٣٥] .

فهى فى هذا انما تقصد العاملين فى الحزب الوطنى وتحاول اتهامهم بأنهم يسعون من وراء أعمالهم الوطنية الى كسب شخصى ومجد ذاتى .

وظل المؤيد ملتزما جانب الاثارة ليس فى القول والمقالة وحسب ، بل تنبيه سلطات التحقيق والمحاكمة الى أمور من شأنها تحقير المتهمين — ومن هم المتهمون ؟! — تلك الأمور التى كان يمكن لهذه السلطة التجاوز عنها ، لأنها لم تكن أصيلة فى الاجراءات ، أو يتطلبهـــا هذا النوع من التحقيق ، كأن نبهت الى عمل صحيفة الة جنائية للمتهمين (تشبيه) وهو اجراء لا يتخذ الا مع المجرمين المتهمين بجرائم مخلة بالشرف والامانة ،

---

(٣٥) المقطم ٢٧ يولية ١٩١٠ .

أو أن يكون مجرما معتاد الاجرام لتحسب جرائمه وتدخل فى تقرير العقوبة الأخيرة الى الاتهام الماثل به المتهم أمام القضاء[٣٦] .

وكم ثارت الصحف الحزبية وغيرها ، فمنها من تناول الموضوع غمزا وامتعاضا فى كلمات وجيزة كالاهرام[٣٧] ، بينما تحمل الدفاع على طول المسار البلاغ المصرى الذى كان يتمتع — كما قلنا — بالحماية الاجنبية ، الذى انتهى فى احدى مقالاته فى الرد على هذه النقطة الى قوله « ألا يكفى حكومتنا أن يكون سجن الكاتب مع الشقى والسارق والقاتل والناهب »[٣٨] ، وظل يتناول موضوع التشبيه هذا فى عدة مقالات ، على أيام متتالية ، تارة فى القسم الفرنسى فى مقالات بعنوان : La Doighr de Cheikh أو أصبح الشيخ ، وكان حديثه فيها بتهكم صارخ فكتب يقول « أصابع الشيوخ نادرة فى قلم تحقيق الشخصية ولذلك أراد رجالنا أن يحصلوا على بصمات أصابع الشيخ عبد العزيز جاويش ومتى حصلوا عليها كانت لهم أكبر فوز وأعظم تعزية ، وكم من أشياء يقرأونها من خلال بصمات تلك الأصابع التى طالما كتبت مقالات دفاعا عن الحرية ، وأحيانا كتبت مقدمات « الوطنية »[٣٩] .

ثم تارة أخرى فى البلاغ المصرى يستكمل نفس الموضوع ولكن بقلم كاتب آخر كتب يعلق ويستكمل ما بدأه البان دى روجا فى الدبيش « ... أصبح الشيخ عبد العزيز جاويش لا يتحرك الا ليحرك القلوب الجامدة ، ولا يكتب الا ليثير فى النفس كامل الاشجان ، ويشعل فى القلوب نار الحرية ... أما أصبع الشيخ على — وشتان بين الاصبعين — .. فان أشقى شىء فى ذلك الشيخ أصبعه فهو يأتى المنكرات ويرتكب الخيانات ، ويضر بصاحبه وبالناس أجمعين »[٤٠] .

---

(٣٦) البلاغ المصرى ٢٩ يولية ١٩١٠ (تشبيه الكتاب — الاحتجاج على تشبيه صحافى) .

(٣٧) الاهرام ٣٠ يولية ١٩١٠ .

(٣٨) البلاغ المصرى ٢٩ يولية ١٩١٠ .

(39) La Depêche : Julliett 29—1910.

(٤٠) البلاغ المصرى أول اغسطس ١٩١٠ (اصبع الشيخ بقلم زهير) .

وما كان من الشيخ على يوسف الا أزاد من اضرام النار حول الحزب الوطنى كله ، عندما كتب فى المؤيد « .. فالغاياتى اذا فوض من جنود الحزب الوطنى ، ولو لم يكن فارا اليوم لكان مجرما قاتلا ، فهل كل جنود الحزب الوطنى من أمثال الوردانى والغاياتى ، وما وظيفة قواد هؤلاء الجنود فى مصر بعد ذلك »[٤٢] .

أى أن المؤيد فى هذا ـ وهو فى حمى السلطة ـ استطاع أن يصل الى كثير من أهدافه ، وحقق الكثير من خطته فى ضرب الحزب الوطنى ، وكال له كل تلك الكلمات ، وكانت السلطة بشقيها الشرعى المتمثل فى الخديوى والفعلية وهم الانجليز راضية عما كان يفعل مقيدة بقية الصحف بقيود قانون المطبوعات ، الذى كانت يد الاحياء قد تناولته منذ حوالى عام قبل هذه القضية .

وهذا ما عكسه البان دى روجا الذى التزم هو أيضا بجانب الدفاع فى هذا السجال فقال بأن « كل سلطة تحس بأنها صارت الى الضعف تعمد الى سياسة الشدة وكل حكومة ترى انها مكروهة تعمد الى الاضطهاد ، وهذا سبيل كل سلطة وحكومة تحس بأنها متداعية[٤٣] .

ان قضية الغاياتى سينظر فيها بعد أسبوع ، وهل فى استطاعة السلطة التى أقفلت الباب فى وجه مبادىء الحرية والتسامح أن تتجنب هذا الفخ الذى تنصبه هى بنفسها .

ما أسخف هذه المؤامرة السوداء الذى سيضحك منها جميع من بضاعتهم اضحاك الناس فى أوربا ... واذا ألقى الشيخ عبد العزيز جاويش فى السجن ، فما هى بأول مرة برهنت فيها وطنيته على قبوله مثل هذا العقاب برزانة فلسفية فى سبيل مبادئه »[٤٣] .

---

(٤١) المؤيد ٢ اغسطس ١٩١٠ .

(42) La Depêche Julliet 31—1910.

(43) Ibid.

وهكذا بدأت القضية تدخل ساحة المحكمة وتمثل أمام القضاء وسط جو مشحون من كل ناحية ، فكان يوم ١٦ أغسطس ١٩١٠ يوما مشهودا ، شددت فيه الحراسة ، وأصطف الجند حول مبنى المحكمة وكأنها دنشواى جديدة ، وكانت هيئة المحكمة قد تشكلت برئاسة محمد بك مجدى القاضى وعضوية على بك ذو الفقار والمسيو سودان ومثل النيابة توفيق بك نسيم ، ويبدو أن غليان النفوس كان واضحا ذلك من قطع رئيس الجلسة أعماله لينبه على الحاضرين بالتزام « الهدوء والأدب » .

وجعل رئيس الجلسة يسأل كل منهم عما هو منسوب اليه ، فنفى الشيخ جاويش حضه الناس على شراء الكتاب وقراءته واتباع ما فيه ، وكذلك أنكر الشيخ القزويني ترويجه وقرر بأن « غاية ما هناك أن الشيخ الغاياتى ترك لى عشرين نسخة ثم جاء تابع الياس أفندى وأخذها » .

ونفى الياس أفندى دياب علمه بأن الكتاب مصادر ، وانه لم يقرأه شأن كل الكتب التى يتجر فيها(٤٤) .

وبدأ وكيل النيابة مرافعته بالقاء الاتهام على كل من المتهمين ، حاولات جهده اضاق التهم بكل منهم خصوصا الشيخين جاويش والغاياتى بكل ما أوتى من أدلة وحسن بيان .

فبالنسبة للشيخ على الغاياتى فقد وصفه بأنه « من الذين ينظرون بغير رؤية ويحكمون بغير عقل ، وأخذ لنقته حقها من كثرة استباحة الجرائم وتنظيم الحياة ومن سوء التهجم على أسمى مقام فى البلاد والتجرم على هيئة الحكومة بما أودعه كتابه » وأورد نماذجا مما حواه الكتاب ، ثم ساق كلمتى كل من محمد فريد والشيخ جاويش دليلين على سوء قصدهما ، سيما وان الغاياتى كتب أنه تليمذهما ، ومن ثم فهما

---

(٤٤) البلاغ المصرى ٧ اغسطس ١٩١٠ ، وقد قارنا ما ورد فى هذا الصدد فى المؤيد — كصحيفة معارضة — فوجدت مطابقة على أساس انها وقائع حضرها جمع شهود الطرفين فلم تتطرق اليها يد التغيير .

مسئولان معه عما كتب سيما وان مقدمة محمد فريد تحدث فيها عن الشعر وكيف أنه يحض على القتال ،وانه يجب اقتحام الاخطار وحمل النفوس على المكاره ويعيب ما يقال من الشعر مدحا فى الأمراء والكبراء .

أما مقدمة الشيخ جاويش وفيها أن الشعر يترك فى النفس أثرا يوقد العزائم ، ولم يعترف بدفاع الشيخ فى التحقيق من عدم علمه بما احتواه الكتاب ، وانه انما كتب هذه المقدمة من باب المجاملة ، وقال وكيل النيابة فى مرافعته « ليس أهون يا حضرات القضاة من جلوس الكتاب وراء مكاتبهم فيطير بهم خيالهم ، ويرسلون أقلامهم ، فيحملون على الرجال ، ويرمون البعض بالمروق » .

وانتهى الى أن الشيخ جاويش يعلم بيقين ما ضمه الكتاب وانه كان رئيسا لتحرير اللواء عندما كان الشيخ الغاياتى ينشر قصائده فيه وان كان الغاياتى قد أضاف قصائد أخرى بعد أن كتب جاويش مقدمة الكتاب .

وبعد أن انتهى من مرافعته بدأ الدفاع مرافعته فركز على النقاط الآتيـــة :

أولا : ان هذه الجرائم لم تكن مجرمة حال وقوعها ، اذ أن القانون الذى جرمها صدر أثناء مثولها للطبع ، وانه نشر فى الوقائع المصرية فى ٢٠ يونية ١٩١٠ أى قبل ظهورها للقراء بأربعة أيام ، وان القانون يسرى بعد خمسة عشر يوما من نشره أى لا ينسحب عليها تماما .

ثانيا : ان المؤلف سبق له نشر معظمها فى الصحف وقرأتها السلطة عندما قرأها الناس ولم يحدث أى اعتراض عليها .

ثالثا : ان من عادة المؤلفين عندما يجمعون شتات أفكارهم وانتاجهم كما فعل الشيخ الغاياتى ، انما يحسون بحاجة الى الاطراء ، فكان ان لجأ الغاياتى الى جاويش ومحمد فريد ليكتبا له مديحا مستطردا ، كما أن الشيخ الغاياتى أعلن عن ظهور كتابه وهو فى المطبعة وانه فى هذه الفترة

طلب المقدمة من كل منهما ، وبذا فانهما لم يكونا يعلمان بما ضـــمه الكتاب .

رابعا : بدأ بعد ذلك يخوض فى نواحى فقهية وقانونية مثل :

(أ) هل تدخل هذه الكتابات تحت طائلة قانون العقوبات ؟

(ب) هل يعتبر الشيخ جاويش فاعلا أصليا أم شريكا ؟

(ج) هل تعتبر كتابته للمقدمة تحسينا لارتكاب الجرائم كما ورد فى الادعاء[٤٥] ؟

ثم قدم الدفاع فى النهاية مذكرة فيها تعليق على ما نشره فى كتاب «وطنيتى» وطلب نشرها ضمن وقائع الجلسة فرفضت المحكمة نشرها بعد قبولها وأبلغت النيابة العامة ادارة المطبوعات بمنع نشرها لأن فى ذلك اعادة نشر لمحتويات الكتاب من جديد وبصورة رسمية[٤٦] .

صـــدى المحاكمة :

بعد هذه المرافعات أصدرت المحـــكمة حكمها الذى تصدر هـــذه الدراسة ، سيق بعده الشيخ جاويش الى سجن الاستئناف بالقـــاهرة فى اليوم التالى ، وبدأت الصدور تخرج ما حوته من ضغوط ، وبات واضحا انها ضربة للحزب الوطنى ، فالحكم انصرف فقـــط الى كل من الشيخ على الغاياتى والشيخ عبد العزيز جاويش حيث أوقف تنفيـــذ العقوبة بالنسبة لبقية المتهمين ، وسواء كان ايقاف التنفيذ هذا مبنـــاه القانونى صحيحا أم غير ذلك فان المعارضة قد وصلت الى هدفها وبات الاحتلال والخديو قرير العين .

ولكن الأمور لم تهدأ ونستقرئها فيما تناولته الصحف .

---

(٤٥) البلاغ المصرى ٧ اغسطس ١٩١٠ .

(٤٦) المقطم ٦ اغسطس ١٩١٠ .

ولنبدأ بالصحف المعتدلة كالاهرام والجريدة ، ثم نعقب بالسجال الذى بدأ ثانية بين صحف اليمين واليسار .

فنشرت الاهرام غداة المحاكمة مقالا بعنوان « محاكمة الصحافيين » استنكرت فيه أسلوب الحكومة فى معاملة هذه الفئة والحت فى طلب سن قانون خاص بمعاملتهم اذ لا يجب معاملة الصحافى صاحب الرأى معاملة السارق والقاتل والسفاح « فتسجنهم فى ذلك القفص الحديدى أثناء المرافعة »(٤٧) .

وهى بهذا تكون قد قامت بواجبها فى المجاملة اذ المعروف عن الاهرام بعدها عن الخوض فى الموضوع لأنها لم تكن صحيفة حزب ولذلك اهتمت بالشكل فقط .

ولو انها لم تسلم من لوم المقطم عندما رد عليها فى هذا الصدد ، وناشدت الحكومة الاستمرار فى القسوة ومعاملة « المنحـرفين » من الصحافيين هكذا « حتى لا يكون خرقا فى الرأى وخطأ فى السـياسة وتقهقرا أمام الحزب الوطنى ، لأنه اذا سن للصحافيين قانون يضـمن لهم راحتهم .. ضاعت حكمة القصاص وعد حملة الاقلام السجن مكانا يغيرون فيه الهواء »(٤٨) .

أما الجريدة فكانت قد أظهرت موقفها المعتدل قبيل جلسة الحـكم فنشرت كلمات عامة عن عادة التقريظ للمؤلفات وأسلوب طلب المؤلف لها ، وأشارت بين طرف خفى الى أن مقرظى كتاب الغانياتى لم يكونا يعلمان بمحتواه ، وان ما كتب لم يكن تحسينا مباشرا للكتاب أو موافقة لصاحبه على ما أورده فيه « فصاحب الكتاب الذى يود أن يقرظه بعض الذين لهم شهرة ذائعة فى عالم التأليف يبذل نفسه فى سبيل ذلك ، وربما كان له مع

---

(٤٧) الاهرام ٨ اغسطس ١٩١٠ .

(٤٨) المقطم ٩ اغسطس ١٩١٠ .

المقرظ علاقة ودية فيكون التقريظ مبنيا على تلك الرابطة لا على قيمة الكتاب .

وكثيرا ما يحدث أن يكون لدى المقرظ أشغال تضطره الى اغفال الاطلاع على خفايا الكتاب المقدم اليه ليقرظه فيقدم على مدح الكتاب بغير علم بما فيه وربما كان كله خطأ وخطلا وتناقضا فله العذر فى ذلك ، فان الحاف المؤلف يضطره الى التقريظ أو بعبارة أخرى لتقييد فكره على الاستحسان والمدح حيث يجب الاستقباح والقدح »[٤٩] .

ثم كتب أحمد لطفى السيد بصراحة رأيه فى القضية ، سيما وانه كان من أصحاب الرأى فى ذلك الحين ، « نحن نثق بقضائنا مهما ألمع الناس فى أحاديثهم الى قصد الحكومة من تعقب رجال الحركة الوطنية ورجال الحزب الوطنى على وجه الخصوص .. ولكن رأينا .. أن مقرظ الكتاب أو ناقده الذى يقول أطلعت على كتاب كذا واقره وأرى رأى المؤلف فيه يعتبر فاعلا أصليا مع المؤلف فى الجريمة ، فاذا كان حضرة الشيخ عبد العزيز جاويش يقر الغاياتى الشاعر على ما جاء فى ديوانه فهو داخل معه فى المسئولية عن الفاعلية الأصلية » .

ولو أن الشيخ جاويش جاء أمام التحقيق واعترف باستحسانه لكل ما ورد فى الكتاب فليس ذلك مدخلا اياه فى المسئولية الجنائية لأن المعاقب عليه قانونا انما هو النشر لا الاستحسان المجرد الذى وقع قبل النشر أو بعده ، فأما وتقريظ الشيخ جاويش لا يدل بعبارته ولا باشارته ولا باقتضائه على أنه اطلع على كل بيت من الأبيات الشعرية واقر الشاعر عليه فلا مسئولية جنائية ..

وان قصائد الشعر لتقبل الزيادة والنقص بل عادة الشعراء انه كلما خلا أحدهم الى شيطانه فأوحى اليه فكرة جاء بها فرحا مسرورا يدسها فى

---

(٤٩) الجريدة يوم أول اغسطس ١٩١٠ (عادة التقريظ بقلم ع . ق . حسن) .

غضون قصيدته ولو كانت في المطبعة ومن له مران بطبع دواوين الشعر يعلم من الشعراء هذا الوسواس .

متى تقرر ذلك وجب أن تثبت النيابة العمومية أمام القضاء أن الشيخ جاويش اطلع على الديوان مجموعا تاما بعد كل زيادة أو حذف ، وليس على الشيخ جاويش أن يثبت هو أنه لم يطلع على الديوان ، لأن الاطلاع على الديوان بالجملة والتفصيل والديوان بالنشر هو دون العلم بالجريمة .. ولقد علمنا أن تقريظ الشيخ جاويش ينحصر في أنه يستحسن شعر الغاياتي .

.. فمن أي جهة فان تقريظ الشيخ جاويش لا تجده موقعا له في المسئولية ولا الفاعلية ولا بالاشتراك مهما احتاطت الحكومة مجزمة من مواد القانون(٥٠) .

هذا عن صحف الاعتدال ، ولكن حدث أن اضطلعت في الجانب الآخر جريدة المقطم بالتهليل والتقليل من شخص الغاياتي كرمز للحزب الوطني .

وهنا تظهر عدة أمور : أولها ، انفراد المقطم — صحيفة الاحتلال — بشخصية الغاياتي دون بقية المتهمين ، والرأي عندي انها انما فعلت ذلك رغم معاداتها للجميع لأن الشيخ جاويش بات في السجن ، ونالت هي بذلك مأربها ، ومحمد فريد في الخارج ، وما زالت القيود في انتظار يديه ، أما الغاياتي فهو السبب الأصلي وأنه في الخارج ولا أمل في رجوعه ، بل ولم يكن يفتأ يكتب في وصف الحزب الوطني .

ثانيها : عدم تناول المؤيد الشخصيات التي حوكمت بالتعليق بعد ذلك ، اكتفاء منها بقيام زميلها المقطم بواجبها في هذا المجال ، وكأنما كانت اللعبة قسمة بينهما ، المؤيد تشعل القضية وتتبعها منذ الإبلاغ عنها

---

(٥٠) الجريدة يوم ٢ اغسطس ١٩١٠ « راى في حاكمة المقرظين — لاحمد لطفي السيد » .

وتصويرها جريمة يعاقب عليها القانون الى يوم الحكم أما المقطم فتقوم بدور الشماتة والتهليل ضد الحزب الوطنى ورجاله .

ثالثها : ان صحف الحزب نفسها لم تستطع أن تكتب في صراحة فى هذا الموضوع نظرا لصدور قانون المطبوعات ، الذي أضحى سيفا مسلطا على رقاب كتابها ، فلم يستطع الدفاع والتعليق سوى البلاغ المصرى والدبيش احتماء بصاحبهما الأجنبى .

وهنا نعرض لبعض ما كتبه المقطم تعليقا على الغاياتى :

« أكبر القضاء الغاياتى صاحب كتاب وطنيتى ، وأحله ملا أكبر من نفسه ، وترك الجرائد السامية تنقل نظمه الذى أنكره الشعر بابنية المعانى ... ضاقت الدنيا بسعتها عليه وتبرم منه كل انسان ، وعافه المربع والمضجع ، وكادت تميد به أرض دمياط ، فساقه القدر الى مصر وهى أم العجائب » « .. والغاياتى ما خلق ليكون انسانا فاذا حكم عليه القضاء فى قضيته فسيحكم عليه الأدباء فى سخافته وسينقم الأدب من فلان وفلان وفلان فى يوم قريب ، اللهم امتنى قبل هذا اليوم »[١] .

وفى مقالة أخرى « ما هى بالحادثة التى تستحق مثل ذلك الاهتمام ، والذنب كل الذنب واقع على أولئك الذين أنزلوا كتاب الغاياتى هذه المنزلة ، وأحلوه هذا الحل على ركاكته وحقارته والا فمن هو الغاياتى وما هو كتاب وطنيتى حتى يسمونه ديوانا ، الا عوض الله الشعراء خيرا وألهمهم الصبر الجميل »[٥٢] .

وفى الجانب الآخر نورد جزءا من تعليق صحيفة الحزب الوطنى « العلم » غداة الحكم وهى من المقالات القليلة التى ظهرت آنئذ فى

---

(٥١) المقطم ٩ أغسطس ١٩١٠ (من هو الغاياتى — ايضاح واعتراف) لمحمد امام العبد .

(٥٢) المقطم ١١ اغسطس ١٩١٠ (من ٤٩٦ هو الغاياتي) لعبد المجيد كامل .

صحف الحزب ، « ما غرض رجال السلطات الانجليزية من كل ذلك الا القضاء على الحركة الوطنية ، متوهمين أن حبس شخص أو عدة أشخاص كاف لتحقيق ذلك »(٥٣) .

أما البلاغ المصرى فشنت هجوما عنيفا على الاحتلال والحكومة ، وظلت فى لهجتها الشديدة حيالها وان كان قد حدث تغيير فى الهجوم فى البلاغ فاصبحت التوقيعات باسماء مستعارة مثل : ناصح ، المصرى ، حقوقى حر ، المطيع لأمر الوطن ، عدو الاحتلال ، أبو الهول ، كما كانت هناك بعض مقالات غفل من الأسماء .

ففى يوم المحاكمة (٦ أغسطس ١٩١٠) نشرت La Depeche صورة لكل من الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ على الغاياتى ، وكلمة عن كل منهما . وما نسب اليهما من اتهامات بعنوان L.Affaire Wataniti ثم فى اليوم التالى نشرت بعض ما دار فى قاعة الجلسة فى صفحتها الأولى .

وفى البلاغ (العربى) كانت هناك المقالات باللغة العربية والأخرى التى ترجمها عن قسمه الفرنسى امعانا فى توصيل الرأى الأجنبى الى القارىء العربى فنقول « ان القضاء الذى سلطته يد السياسة قد حكم حكمه ، فلنذعن أمامه ، كما سيذعن أمامه ضحايا هذا القانون الاستبدادى ، ولكن ذلك لا يغير رأينا ، فان الفكرة الوطنية المصرية لا تصيبها هذه الشدة غير المنتظرة ، وسيكون التأثير خارج مصر مؤلما حين يعلمون أن حكومة أجنبية عجزت عن ايقاف تيار الوطنية ، وقامت تضرب بلا شفقة »(٥٤) .

---

(٥٣) العلم ١٠ أغسطس ١٩١٠ (قضية استبدادية فى مصر) .

(٥٤) البلاغ المصرى ٧ أغسطس ١٩١٠ وهى مترجمة عن مقال بالقسم الفرنسى بقلم البان دى روجا .

ثم نشرت كذلك مقالة فيها تنديد بالحكم على الشيخ جاويش « ... لما علمت مساء أمس بهذا الخبر المنتظر والمدهش دهشة مؤلمة ، لم يدع لى انفعالى مجالا الا لكتابة بعض السطور أخصها بذلك الوطنى الذى رأيته فى غاية التسليم الحكيم والرزانة والشمم .. ذلك السجين الذى كان أقل حظا من بعض اللصوص أو بعض القتلة الذين لم يهتد اليهم بوليسنا لأنه أعمى فى بعض الأحيان »(٥٥) .

تلك بعض الأصداء وبعض المواقف من الجانبين ، أما الشعب فقد كان يظهر استياءه فى الشوارع وعلى المقاهى غير عابئ بالنتيجة(٥٦) .

وقد أمضى الشيخ عبد العزيز جاويش الشهور الثلاثة الأولى فى السجن راضيا قارئا متأملا الى أن أفرج عنه سرا فى أكتوبر ١٩١٠ حتى لا يثير شغبا عندما يستقبله مريدوه .

ومما يجدر ذكره فى شأن الافراج عنه أن البان دى روجا المسئول عن البلاغ المصرى كتب يطلب أكثر من مرة الافراج عنه قبل موعده بمناسبة حلول عيد الفطر « لتكمل فرحته وفرحة العالم الاسلامى » واستطرد فى طلبه يقول « ربما لا يجوز لى لكونى أجنبيا مسيحيا أن أتداخل فى قضية حكم فيها القضاء المصرى العالى طبقا لاغراضه وضميره ولكن ليس فى امكانى أن أنسى أن الشيخ عبد العزيز جاويش رصيف لى »(٥٧) .

---

(٥٥) البلاغ المصرى ٩ اغسطس ١٩١٠ « الحرية تضرب عشاتها » وهى أيضا مترجمة عن البان دى روجا .

(٥٦) قام أحد المواطنين غداة الحكم بالتجمهور فى مقهى ألف ليلة بالقاهرة يدعى محمود أفندى فهمى وكان موظفا بالسكة الحديد المصرية وخطب فى الجالسين معترضا على الحكم وهتف فيهم ورددوا هتافه (فليسقط القضاء) وقد حقق البوليس معه وأرسلت محافظة القاهرة صورة المحضر من قسم الموسكى الى ادارته لجارته ادارية (الجريدة ١٣ اغسطس ١٩١٠) .

(٥٧) البلاغ المصرى ٣ ، ٤ اكتوبر ١٩١٠ .

وهكذا جاس الشيخ جاويش تجربته بقسوتها ومرها فى تحمل ، وخرج بعدها ليكتب بأسلوب آخر مبتدئا بمقال « ما هى علتنا الحقيقية » التى بدا منها انه صار أكثر عمقا فى فهم مبادئه ، وانه رأى أن التربية الوطنية أكثر أهمية فى بناء الامم وأشد ضرورة لمقاومة الاحتلال ونفوده، حيث دعا الى توجيه الهمم الى تكوين نفسية الشباب وتربيتهم التربية الحقيقية التى هى مجمع الفضائل ومبعث الكمالات وان « التربية النفسية هى التى تتوقف عليها رفعة الأمم وانحطاطها بل يتوقف عليها عدلها ووجودها » ودعا — كدعوة مؤسس الحزب الوطنى من قبل — الى نشر المدارس فهى التى تنمى الحس والعقل والنفس بل دعا الى تأسيس « ادارة معارف أهلية » .

واذا كانت الصفحة الأولى من المحاكمة قد طويت ، فقد فتحت الصفحة الأخرى وهى :

محاكمة محمد فريد :

تمت الاجراءات التى عرضناها ، وحكم فى القضية فى غياب أحد متهميها وهو ، محمد فريد ، ولذلك أرجأت سلطة التحقيق اجراء محاكمته عندما يحضر الى مصر لأنهم رأوا أن فى الحكم عليه غيابيا حافزا له لعدم العودة ، وهو أمر لم تكن السلطة فى مصر راغبة فيه .

ولم كثر اللغط فى حقه كتبت اليه احدى بناته فى ١٤ أغسطس ١٩٩١٠ تطلب اليه أن يحضر ويحاكم وليظهر رأيه أمام الناس ويقطع الألسن التى تناولت موقفه بالنقد « ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا به على الشيخ جاويش فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم .. وأختم جوابى بالتوسل اليكم باسم الوطنية والحرية التى تضحون كل عزيز فى سبيل نصرتها أن تعودوا وتتحملوا آلام السجن »(٥٨) .

---

(٥٨) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الوطنية ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢٥٧ .

استجاب محمد فريد لوطنيته وتوسلات ابنته وعاد الى مصر وسرعان ما ألقى القبض عليه وسيق الى التحقيق حيث قرر أنه كتب مقدمته لكتاب وطنيتى دون أن يطلع على محتوياته وقبل أن يتم على الفاياني كتابته وأنه سلمها اليه فى فبراير ١٩١٠ أى قبل اعداد الكتاب للطبع لأنه سافر الى أوروبا فى ٥ مايو وظهر الكتاب بعد ذلك[٥٩] .

وتبلور التحقيق عن اتهام محمد فريد بالآتى :

حسن كتاب « وطنيتى » الذى طبع ونشر من ٢٤ يونية الى ١٠ يولية ١٩١٠ ، والذى هو فى حد ذاته يشتمل على جملة أمور معاقب عليها قانونا ، وذلك بأن امتدح الكتاب المذكور بمقدمته فيه بامضائه تحت عنوان « تأثير الشعب فى تربية الأمم » وهذه الأمور هى تحريض الناس على كراهية الحكومة والازدراء بها والعيب فى حق ذات ولى الأمر وتحسين جريمتى دنجرا[٦٠] والوردانى واهانة ناظر الحقانية بصفته موظفا عموميا ، وبسبب وظيفته ، وتحسين جريمة الشيخ جاويش الذى حكم عليه من أجلها[٦١] وحدد لنظر الجلسة يوم ٢٢ يناير ١٩١١ .

وشكلت هيئة المحاكمة برئاسة المستر دلبروجلى وعضوية كل من أحمد بك ذو الفقار وأمين بك على ومثل النيابة توفيق بك نسيم .

وقد أحضر محمد فريد مقبوضا عليه بدون محام ، ولما سئل عن التهمة الموجهة اليه نفاها مدللا على ذلك بعدم وجوده عند ظهور

---

(٥٩) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٦٠) كان دنجرا طالب هندى يتعلم فى انجلترا وكان من حزب الأحرار الفدائيين من الهنود يكره الاحتلال البريطانى لبلاده ، وانتهز فرصة وجود السير كيرزون ويللى فى حفلة اقيمت فى فندق دي أبير انسنتيوت بلندن فى بولية ١٩٠٩ وقتله — ثم حوكم بسرعة حيث قضى باعدامه ونفذ الاعدام فى ١٧ اغسطس ١٩٠٩ .

اما الوردانى فهو الذى اغتال بطرس غالى باشا رئيس مجلس النظار فى عام ١٩١٠ .

(٦١) المؤيد ٢٤ يناير ١٩١١ .

الكتاب « وهى كمقالة يصح أن تنشر فى جريدة كما تكون مقدمة لكتاب ، واذا كانت المحكمة ترى محاكمتى فلها رأيها » وأضاف « أنا لم أحسن أو اقرظ وانما كتبت مقدمة لكتاب وان سكوت الحكومة وقت نشره بالجرائد جعلنى اقرظه بدون لكتراث والذنب على الحكومة التى تركته ينشر أولا فى الصحف »(٦٢) .

وترافع ممثل النيابة قائلا : « فصل القضاء فى موضوع كتاب وطنيتى وقضى بتأثيم واضعه ومن اطواه وحسن موضوعاته .. ولم يبق أمامنا سوى تقرير مسئولية صاحب المقالة الأولى التى ردت فى الكتاب المذكور تحت عنوان « تأثير الشعر فى تربية الأمم » ... لماذا يكون احسن الشعر ما يحض على القتال ، ولا يكون ذلك الخيال الذى يرى به الانسان الطبيعة بجمالها وينظم ويقال فى المواضيع الشريفة لتثقيف العقول وتهذيب النفوس ، لماذا تكون تربية الأمم بالشعر الحماسى ولا تكون بالشعر الذى يحض على نشر العلم ورفع الجهل .. بل لماذا لا يكون مدح الامراء والوزراء بمنزلة القول الهجو »(٦٣) .

ورغم دفاع محمد فريد فقد انتهت المحكمة الى أنه كتب مقدمته وهو عالم بما سيجمع الغاياتى وأن تأخر طبع الكتاب فلا تأثير له فى ثبوت التهمة فى حقه ، وبل استبعدت التصور بأنه لم يطلع على ما جمعه الغاياتى فى كتابه « خصصا السابق نشره فى جريدة اللواء، وما انذرت من أجله ، سيما وان مركزه وما له من الاشراف لا يتصور معه عدم اطلاعه على ما ينشر في جريدة تخص الحزب »(٦٤) .

وما لبثت المحكمة أن أصدرت ضده الحكم المتصدر لهذه الدراسة .

---

(٦٢) المؤيد ٢٣ يناير ١٩١١ .

(٦٣) المرجع نفسه .

(٦٤) من حيثات الحكم المنشورة فى المؤيد بتاريخ ٢٤ يناير ١٩١١ .

صدى هذه المحاكمة :

قوبل الحكم فى هذه القضية بالسخط وعمت الدهشة انصار محمد فريد فى الحزب الوطني ، وساد بينهم رأى أن ما حدث كان للتنكيل بقيادة الحزب ، والقاء الرعب والفزع فى نفوس أعضائه ، ولينصرف الناس عنه تفاديا لمثل ما وقع .

ونعرض كذلك لموقف الصحف من موالية ومضادة ، وللعجب أن المؤيد التزمت نفس موقفها السابق ، فلا يقلق سوى كلمات انهت بها سطور الحكم لدى نشره « ونحن نأسف أشد الأسف على صدور هذا الحكم الذى نعتبره شديدا عما كان ينتظر لهذه القضية »(٦٥) . وهنا يتأكد رأينا فى موقفها ، فلقربها من السلطة كانت تعرف حدود ما سيحكم به نهاية لما سبق ان حققته للحزب من شراك ، ولكن المحكمة زادت فى تقديرها ، وسكت المؤيد بعد ذلك وكأنما كان يخفى فرحة النصر .

وقد علقت العلم فى مقال لامين الرافعى بعنوان « هناك اجماع على الاستياء » .

« هناك اجماع على الاستياء .. اجماع على أن الحكم صارم .. اجماع على انه اذا كان لابد من الحكم فكان ايقاف التنفيذ واجبا ، اجماع على الدهشة من التفاوت فى الاحكام فى قضية واحدة ولتهمة واحدة »(٦٦) وهو قول رجل له درايته بالقانون وأقرب الى المعقولية ، ولكن الفكرة المسيطرة هى ضرب رؤوس الحزب للتبدد البقية .

وقد تصدى امين الرافعى كثيرا لهذه القضية ، فتصدى للقوى المتحالفة ضد تيار الوطنية آنذاك فى مقالة بعنوان « انزلوا بنا ما شئتم من الشدة »(٦٧) .

---

(٦٥) المؤيد ٢٣ يناير ١٩١١ .
(٦٦) العلم ٢٧ يناير ١٩١١ .
(٦٧) العلم ٢٤ يناير ١٩١١ .

أما محمد فريد فقد نشر مقالا بعنوان « من سجن الى سجن » كشف فيه مؤامرة المتآمرين عليه « مضى على ستة أشـــهر فى غيابات السجن ولم أشعر بالضيق إلا عند اقتراب أجل خروجى لعلمى انى خارج الى سجن آخر هو سجن الأمة المصرية ، الذى تحدده سلطة الفرد ويحرسه الاحتلال ... ظن أعداء حزبنا الوطنى وخشى محبونا أن يكون للحبس هذا أقل تأثير فى سير الحزب وانتشار مبادئه الحقة بين طبقات الشعب ووصولها الى أعماق قلوبه ، ولكن لله الحمد فقد برهن حزبنا أثناء اعتقالى بين جدران هذا السجن على أنه حزب الوطن ، حزب الشعب لا يؤثر موت رئيس »[٦٨] .

ومن الغريب أن هذه القضية لم تأخذ مساحة واضحة فى مذكرات محمد فريد ، فيذكرها عندما يذكر جاويش وموقفه منه فقال « وفى ١٩١٠ حبس ثلاثة أشهر أخرى لمقدمة كتاب الفاياتى التى حبست أنا من أجلها ستة شهور فى ١٩١١ من ٢٣ يناير الى ١٨ يولية »[٦٩] .

ولقد عرض عليه الخديو وهو فى سجنه رتبة الميرميران ورئاســة الوزارة ان شاء ، على أن يعتذر له عن بعض ما أورده عنه فى مقالاته التى كتبها فرفض[٧٠] .

وهكذا سارت قضية كتاب « وطنيتى » : صدرت الأحكام ونفذت ولكن لم تصل يد السلطة الى المتهم الأول الذى ظل طليقا فى أوربا الى أن سقط الحكم ضده وعاد ادراجه ليؤسس جريدة « منبر الشرق » لتحمل فى أول أعدادها اعلانا عن كتاب « وطنيتى » فى طبعته الجديدة على النحو التالى فى عام ١٩٣٨ :

---

(٦٨) العلم ١٩ يولية ١٩١١ .

(٦٩) مذكرات محمد فريد ك ٢ ص ٤٦ .

(٧٠) منبر الشرق ٦ مايو ١٩٣٨ (من ذكريات الماضى) لمحمد لطــفى جمعــة .

« وطنيتى »

أحدث ظهور كتاب « وطنيتى » عام ١٩١٠ ضجة كبيرة فى مصر وقد صودر وبلغ ثمن النسخة منه جنيها ، وحوكم صاحبه بعد أن فر سرا الى الخارج وحكم عليه غيابيا بالحبس سنة ، وها هو قد عاد الى وطنه أخيرا ، وبادر بطبع ديوانه طبعة ثانية بعد مرور ثمانية وعشرين عاما على الطبعة الأولى ، ويطلب هذا الكتاب من ادارة منبر الشرق ومن المكاتب الشهيرة بالقاهرة وثمنه عشرة قروش ، وهو يرسل هدية لكل مشترك جديد فى هذه الجريدة »[٧١] .

---

(٧١)منبر الشرق ٦ مايو ١٩٣٨ .

المراجـــع :

Report by his Majesty,s Agent and Consul general on finance' administration and general condition, 1908.

ـــ أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، القاهرة ١٩٣٦ •

ـــ صبرى أبو المجد : محمد فريد ، ذكريات ومذكرات ، الهـــلال أكتوبر ١٩٦٩ •

ـــ عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، رمز الوطنية ، القـــاهرة ١٩٦٢ •ـــ

ـــ على عبد الرشيد : سيرة وحياة على الغاياتى ، القاهرة ١٩٨١ •

ـــ على الغاياتى : وطنيتى ، القاهرة ١٩٤٧ •

ـــ يونان لبيب رزق (دكتور) : أثر قانون المطبوعات فى الحـــركة الوطنية ، دراسة فى المجلة التاريخية ١٩٦٦ •

الصـــحف :

الاهـــرام
البـــلاغ المصرى
العلم
اللـــواء
المقطم
منبر الشرق
المؤيد

La Depêche.